بسم الله الرحمن الرحيم

نُخْبَةُ الإِعْلامِ الجِهَادِيّ

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

تفريغ

خطبة عيد الفطر 1429

للشيخ/ أبو يحيى الليبي (حفظه الله)

الصادرة عن مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله, أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين , وعلى من اهتدى بهديه وسارعلى سنته إلى يوم الدين.

ثم أما بعد..

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله, الحمد لله الذي جعلنا من المسلمين , الحمد لله الذي جعلنا ممن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله , الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف حق هذه الكلمة , الحمد لله الذي اصطفانا من بين خلقه لنكون من عباده المهاجرين المجاهدين المرابطين , فهذه نعم الله سبحانه وتعالى علينا , وهي أجلها وأعظمها وأكبرها (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا).

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً:

تذكروا نعم الله سبحانه وتعالى عليكم , وأكثروا من ذكرها لتكثروا من شكرها, فإن الشكر قيد النعم , وبه يزداد المرء نعماً من الله سبحانه وتعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ).

يا أيها الإخوة , هي هذه رحلة الحياة , مجيء و إياب , حضور وغياب. بالأمس كنا ننتظر شهر رمضان , واليوم نودع محطةً من محطات العمر, قد انقضت وولت وذهبت, طوبى لمن ملأها بطاعة الله عز وجل , طوبى لمن صامه إيماناً واحتساباً , ولمن قامه إيماناً واحتساباً , طوبى لمن ملأ وقته فيه بذكر الله عز وجل وتلاوة كتابه وتسبيحه والتوبة إليه والاستغفار بين يديه , ويا خيبة من ضيّع هذه الأيام النفيسة التي هي أنفس أيام العمر, يا خيبة من ضيعها في معصية الله سبحانه وتعالى , ويا خسارة من قضاها عاكفاً أمام شاشات الضياع والفساد , ويا خيبة من قضاها في أسواق الصخب وفي دنيا المتاعِ وفي دنيا الضياع.

يا أيها الإخوة , ها نحن قد ودعنا شهر رمضان وقضينا أيامه ولن يعود لنا, لن تعود لنا تلك الأيام ,

وإنما هي بما ملأناها من طاعة أو معصية , من برٍّ وخيرٍ أو شر ومخالفةٍ لأمر الله عز وجل , ونعوذ بالله من معصيته.

فهذه المحطة التي جعلها الله سبحانه وتعالى أياماً يتزود فيها المؤمن ليكون من أهل التقوى وأهل الصلاح والفلاح, قال الله سبحانه وتعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

لعلكم تتقون , هذه العطية والهبة الجليلة التي أراد الله عز وجل أن يوصل إليها عباده المؤمنين .. هبة التقوى وعطية التقوى من الله سبحانه وتعالى. وهل في الدنيا أجلُّ وأعظم وأكبر وأسمى من أن يكون الإنسان متقياً لله سبحانه وتعالى ؟

التقوى هي مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) , (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) , (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا).

إذاً هذا الشهر جعله الله سبحانه وتعالى محطةً ليرتقي فيها عباد الله إلى أعلى الدرجات وإلى أسمى الدرجات التي يريدها الله سبحانه وتعالى لهم .

فالمؤمن حينما يتفكر في حاله وينظر في أعماله ويتأمل في كيفية قضائه لهذه الأيام فإن وجد خيراً فليحمد الله, وإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

نعم إنها محطةٌ يتزود فيها الإنسان لأن رحلة الحياة طويلة , رحلة الحياة رحلة المشاق والمتاعب والمحن والكد والسراء والضراء والزلزلة , هذه المحنة يحتاج فيها الإنسان إلى زاد حتى تستقر سفينة الحياة في آخر المطاف إما إلى نعيمٍ مقيم , وإما إلى جحيمٍ وعذابٍ والعياذ بالله .

إذا أيها الإخوة قد ودعنا شهر رمضان , وتزودنا بما يسّره الله سبحانه وتعالى علينا, وبما فتح لنا من أبواب الخير والطاعة والبر, فعلينا أن ندخل في الأيام الجدد بهمة أعلى وبإصرار أكبر وبتحدٍ أشد وبإيمانٍ أقوى , لأننا في معركةٍ دائمةٍ دائبة لا تنقطع , معركة مع أنفسنا (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ), هذه النفس التي تحب الراحة وتتشبث بالدعة , وتميل إلى الركون والكسل والخمول.

ومعركة مع الشيطان الذي أقسم بأنه سيأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ,

والذي أوقف نفسه ليصد عباد الله عن صراط الله المستقيم.

ومعركة مع أولياء الشيطان وجنوده الذين قال الله عز وجل في حقهم: (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ).

إذاً هي معركة شرسة ومعركة متواصلة , جبهاتها متعددة وجنودها مختلفون , فالإنسان يحتاج فيها إلى أن يكون أكثر ثقة بالله عز وجل , وأكثر توكلاً على الله سبحانه وتعالى , وأكثر استعاذة بربه عز وجل.

لذلك أيها الإخوة حتى نعرف قدر ربنا الذي نعبده , ونعرف قدر ربنا الذي نتقرب إليه , ونعرف قدر ربنا الذي نقاتل من أجل إعلاء كلمته , رأيت أن أقف عند حديثٍ جليلٍ عظيمٍ عرف أهل العلم قدره وأنزلوه منزلته , ذلك الحديث الذي يرويه الإمام مسلم رضي الله تعالى عنه ورحمه الله عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه , عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال : " يقول الله عز وجل", وتأملوا في هذا الحديث , وانظروا في كلماته , وتعمقوا في معانيه لتعرفوا ربكم الذي تتقربون إليه , والذي تسعون لأن تلاقوه , والذي تسعون لأن تحظوا برؤيته سبحانه وتعالى :

(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد فيكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد، ثم سألني كل واحد منكم مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عِبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).

كان أبو إدريس الخولاني –رحمه الله– وهو أحد رواة هذا الحديث عندما يرويه يجثو على ركبتيه لعظمة هذا الحديث , ولقوة معانيه , فهو يدلنا على قدرة الله النافذة وعلى رحمته الواسعة وعلى حكمته البالغة سبحانه وتعالى.

(يا عبادي) .. انظروا كيف ينادي ربكم عباده , يتحبب إليهم لعل منهم من يستمع إلى ندائه فيؤوب إليه ويرجع إليه ويستمع إلى كلامه ويستغفره من ذنوبه .. (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي) .. الملك ملك الله, والحكم حكم الله, والأمر كله لله سبحانه و تعالى, ومع ذلك فإن الله عز وجل قد حرم أن يظلم أحداً من عباده (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) , (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) , (إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا).

هذا هو ربنا , ربنا العدل , أحكامه أحكام العدل , وشريعته شريعة العدل , هذه الشريعة التي سنها لنا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزلها لنا في كتابه العزيز الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ), هذه الشريعة هي شريعة العدل والإنصاف والقسط (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى).

(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي) فلا أحد يخاف من الله بخساً ولا رهقاً, إن جئتَ يوم القيامة مؤمناً متقياً صالحاً موحداً فكن مطمئناً أن الله لن يظلمك, إن الله لا يظلم مثقال ذرة.

(وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) أي وجعلت الظلم محرماً بينكم فلا يظلم بعضكم بعضاً. وكما نعلم أيها الإخوة فإن أعظم الظلم هو الشرك بالله عز وجل, والظلم كما عرفه العلماء هو: "وضع الشيء في غير محله تعدياً", أن تضع الشيء في غير موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه تعدياً وتجاوزاً, وأعظم وضع الأشياء في غير موضعها هو أن تجعل لله نداً وقد خلقك , هو أن تعبد مع الله إلهاً آخر , هو أن تتحاكم إلى غير شرع من خلقك ورزقك وأعطاك وعافاك , هذا هو من أعظم الظلم , (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) , (وجعلته بينكم محرماً) لا يظلم بعضكم بعضاً, ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ", والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : "كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه ", والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة", اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة, فماذا سيفعل هؤلاء الذين قد ملؤوا الأرض كلها بظلمات الظلم , سفكوا دماء الناس بغير حق , ونهبوا أموالهم بغير حق , واغتصبوا ديارهم بغير حق , وانتهكوا أعراضهم بغير حق , هؤلاء الذين سيأتون يوم القيامة وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون .

إن شريعتنا أيها الإخوة التي علينا أن نتشبث بها وأن نستيقن بصحة طريقها وأنها السبيل الوحيد الذي يوصلنا إلى رضوان الله عز وجل هي طريق العدل وهي طريق الإنصاف وهي طريق القسط وهي سبيل الرحمة , فمن ابتغى الرحمة والعدل والقسط في غيرها فلن يجد إلا الرهق والضنك والشدة

والضيق كما قال الله سبحانه وتعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى), وأما أهل الإيمان وأهل الصلاح والتقوى فسيحيون حياتهم الطيبة (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) في الدنيا (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

نعم , هذه هي شريعتنا التي ندعو إليها ونقاتل من أجلها , ونصبر على المحن من أجل تبليغها, هذه هي شريعتنا التي أنزلها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز, فما بال أناس قد هداهم الله سبحانه وتعالى إلى هذا الخير العميم والبر الواسع ذهبوا يركضون شرقاً وغرباً ويممون شمالاً وجنوباً يبحثون عن الدعة وعن الراحة والعدل في غير ما أنزل الله سبحانه وتعالى, ما هذا إلا الضلال والخبال والخسارة, (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى), نعم إن الله سبحانه وتعالى أمرنا بأن ندعو إلى دينه وأن نستقيم على شريعته وأن نعدل مع كل أحد (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ).

هناك سبيلان: هناك سبيل الاستقامة على طريق الحق التي توصلك إلى الله سبحانه وتعالى (وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ), هذا هو سبيل الحق, وهناك الأهواء (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ), (وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ), (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ).

(فلا تظالموا) .. لا يظلم بعضكم بعضاً .. ونحن نرى الأرض اليوم وقد امتلأت من أنواع الظلم والطغيان والبطر والكبر والقهر والإذلال لكل مستضعف من المؤمنين وغيرهم مالم يسمع به الأولون ولا الآخرون, أرأيتم ظلماً أعظم وأشد وأفدح وأقبح مما يتعرض له إخوانكم في غزة ؟ مليون ونصف مسلم في سجن واحد مغلق, ما ذنبهم؟ ما جريرتهم؟ أهؤلاء كلهم إرهابيون؟ هؤلاء كلهم حملوا السلاح؟ هؤلاء كلهم قصفوا أو قتلوا أو دمروا ؟ لا والله, إنما هي حرب العقيدة .. حرب الإيمان, هناك حزب الله .. هناك أهل التقوى أهل الصلاح .. وهو كل من انتسب لهذا الدين وتمسك به وعرف قدره, وهناك حزب الشيطان , حزب الطغيان حزب التكبر حزب الفساد الذين حرقوا الأرض وملؤوها بماذا ؟ ملؤوها بفسادهم و طغيانهم.

ما ذنب هؤلاء؟ ما ذنب الأطفال الرضع والشيوخ الركع؟ ما ذنب هؤلاء النساء الضعفة؟ ولو كان هذا الظلم نلاقيه من بني يهود لهان الأمر فهذا هو دأبهم وطريقتهم وسيرتهم كما قال الله سبحانه وتعالى: (وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً) .. اليهودي لا ينفك عن الفساد, هذه سيرته وجُبل على ذلك, ولكن من أولئك المجرمين الذين ينتسبون إلى الإسلام ! نحن نقول هذا حتى يعرف أهل الإيمان أعداءهم لأننا لا يمكن أن ننتصر في معركتنا ولا يمكن أن نمكن لشريعة ربنا حتى نعرف أعداءنا على

حقيقتهم, هذا الطاغية المتجبر فرعون هذا الزمان صاحب القلب الجاف اليابس المتحجر طاغية مصر.. لماذا , لماذا يسلط كلابه الذين رباهم السنوات والسنوات على هؤلاء الضعفة؟ ما ذنب هؤلاء ؟ ما ذنب هؤلاء الضعفاء؟ أهناك ظلم أشد وأعظم وأفدح مما نراه يحصل لإخوانكم في فلسطين؟ ولو أردنا أن نعدد صور الظلم وأنواعه يا إخوة فوالله سيطول بنا المقام ولا يمكن أن نحصيها.

إذاً (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا), هذه هي شريعتنا التي ندعو إليها, ولكنه ليس عدل الديمقراطية, ولا عدل الرأسمالية, إنه عدل الإسلام الذي أنزله في كتابه وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم, فنحن لا نتملق لشرق ولا لغرب ولا نداهن في شريعتنا في صغير ولا كبير وإنما (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ), نعم , (فلا تظالموا) .

(يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم), إذاً مصدر الهداية واحد, وطريق الهداية واحد, من أراد الهداية فعليه أن يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى, ومن أراد الهداية فعليه أن يسير على طريق الله سبحانه وتعالى, وما وراء ذلك إلا الضلال (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ).

نعم , (يا عبادي كلكم ضالُ إلا من هديته) .. فلا هداية إلا بالتمسك بشريعة الله سبحانه وتعالى, ولا هداية إلا بما يقذفه الله في قلب عبده من نور الإيمان حتى يكون من أمة التوحيد (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ).

نعم لو أعطيت له الدنيا بحذافيرها, ولو فتحت له كنوزها كلها إلا أنه سيبقى في ضنك وضيق وشدة وهمّ وغمّ لا نهاية له لماذا؟ لأن هذا القلب , هذه المضغة لا تستقر وتطمئن ولا تتنزل عليها السكينة إلا إذا رجعت إلى ما خلقت إليه .. إلى فطرتها فطرة الله التي فطر الناس عليها .. إلى الإيمان بالله عز وجل , إلى التمسك بشريعته , إلى توحيده , إلى محبته إلى تقواه , أما أن يشتت الإنسان قلبه شرقاً وغرباً فتارة يتبع هذا الفكر وهذا المنهج , وتارة يتبع هذا الفكر وذاك المنهج , تارة يعبد حجراً وتارة يعبد شجراً , وتارة يعبد هوى , وتارة يعبد قانوناً ضائعاً , فهذا والله لا يمكن أن يتحصل على ذرة من السعادة ولو زعم ذلك (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى).

فيا أيها المسلمون, يا من خلفتم شريعة ربكم ونور نبيكم وراءكم ظهرياً , وركضتم وأنتم تبحثون عن المتعة وتبحثون عن السعادة والسعة والراحة والسكينة في زبالات أفكار أحفاد القردة والخنازير,

عودوا إلى ربكم , واستهدوا ربكم , اطلبوا الهداية منه , (فاستهدوني أهدكم) , نعم , (يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) .

(يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم , يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم) .. هذا هو ربنا, الخير كله بيديه, خير الدين والدنيا, خير الدنيا والآخرة, فمن أراد شيئاً من متاع الدنيا صغيراً وكبيراً طعاماً أو كساءً أو صحةً أو عافية فعليه أن يتوجه إلى الله عز وجل , وإن الله لا يستعظم شيئاً يُسأله من عباده , ولذلك فإبراهيم –عليه السلام– وهو في شدة المحنة , وحيد بين قومه , غريب بين قومه , يعلنها بينهم إعلاناً عاماً ينبغي أن يأتسي به كل مسلم , يعلن تمسكه بتوحيده وثقته بالله عز وجل وتوكله عليه سبحانه وتعالى ومعرفته لقدره , قال إبراهيم لقومه: (مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّون) إلى أن قال في السورة الأخرى: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) .

نعم , هكذا ينبغي أن تكون ثقة المسلمين بربهم ويقينهم بالله عز وجل توكلاً عليه واعتماداً عليه ولجوءاً إليه وتضرعاً بين يديه وثقة فيما عنده سبحانه وتعالى .

(يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم , يا عبادي ..) إذاً خزائن السموات والأرض كلها بيد الله سبحانه وتعالى فلا ينفع مع قدرة الله سبحانه وتعالى تجفيف منابع الإرهاب لأن الرزق كله بيد الله عز وجل , هذه الدعوة التي تعقد لها المؤتمرات ويجتمع لها شياطين الإنس والجن قد قيلت من قبل , قالوا (لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا) .. هذه دعوة قديمة ليست جديدة , تجفيف منابع الإرهاب , ونحن نقول إن بيد الله سبحانه وتعالى خزائن السموات والأرض فاقطعوا ما شئتم وجففوا ما أردتم وامنعوا ما تريدون فإن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون , وإذا قال الله لشيء كن فلن تستطيع الأرض والسموات أن تمنعه , هذه الثقة لابد أن تغرس في قلوبنا أيها الإخوة .

يا معاشر المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها : عليكم بالثقة التامة بربكم في دينكم ودنياكم , استنزلوا الرزق من عند الله سبحانه وتعالى , أكثروا التضرع بين يديه , هذا ربكم يناديكم ويطلب منكم سؤاله ودعاءه والتضرع له, (كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم), حتى كان بعض السلف يسأل الله في سجوده ملح طعامه وعلف دوابه , هكذا كان السلف , فإذاً لا نستحي

من سؤال الله عز وجل , وهذا شيء يرغبنا فيه ويدعونا إليه سبحانه وتعالى (يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم , يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم).

(يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جيمعاً فاستغفروني أغفر لكم) , "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون".

الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن ما من أحد من بني آدم إلا وهو يخطئ بالليل والنهار, والله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار , ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل , وما من شيء ينزل النقمة والعذاب من الله سبحانه وتعالى كمثل الذنوب , سواء في حق الفرد أو في حق المجتمعات والدول (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) , (وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ) , فنحن أيها الإخوة وخاصة أنتم أيها المجاهدون فأنتم أكثر الناس حاجة إلى التوبة إلى الله عز وجل والاستغفار لله سبحانه وتعالى, لماذا ؟ لأن الذنوب هي من أعظم ما يحول بينكم وبين النصر, لا يمكن أن ينصر الله سبحانه وتعالى قوماً يجاهرونه بالمعصية , ولذلك فمن دعاء أهل الإيمان قبل أن يدعوا الله عز وجل بأن ينصرهم على القوم الكافرين (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا) في الأخير (فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) , إذا فنحن بحاجة إلى أن نكثر من الاستغفار والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى , التوبة النصوح الصادقة التي يستوي فيها ظاهر الإنسان وباطنه , علانيته وسريرته , لأن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم وإنما ينظر في قلوبكم وما فيها من الإخلاص والصدق والإنابة والتوحيد , وينظر إلى أعمالكم إن كانت موافقة لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أم لا .

إذاً إن أردنا النصر والفتح فعلينا بالتوبة الصادقة والاستغفار الدائم إلى الله سبحانه وتعالى (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) ثم : (وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ).

إذاً يا إخوة نحن في حاجة أن نذكر أنفسنا بهذا الأمر العظيم فوالله أنه من أعظم أبواب الفتح والنصر والتمكين , كلما كانت طائفة المجاهدين أقرب إلى الله عز وجل , أكثر توبة لله سبحانه وتعالى , أكثر استغفاراً لربهم , أكثر إنابةً , رجوعاً كلما كان النصر أقرب إليهم من الله عز وجل , (يا عبادي إنكم

تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم) , نعم , (يا عابدي) , قال الله عز وجل : (يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم).

والله عز وجل هو الغني عنا وعن هدايتنا وطاعتنا وخيرنا وبرنا , فالله عز وجل له ما في السموات وما في الأرض (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ), ولهذا حتى لا يغتر الإنسان بإيمانه ولا يُعجب بعمله الصالح الذي يوفق إليه فإن الله عز وجل يُبين لنا هذه الحقيقة بياناً واضحاً جلياً لا يخفى على الله أحد (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) , (وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً) إنهم لن يضروا الله شيئاً (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً).

نعم , ثم قال الله عز وجل: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد فيكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً , يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً) .. الله عز وجل غني عنا وعن عبادتنا وعن جهادنا وهجرتنا ورباطنا ودعوتنا , فلذلك يقول في آخر الحديث : (فمن وجد خيراً فليحمد الله) , فهو من توفيق الله عز وجل لعبده المؤمن , فلا ينبغي للمسلم أن يغتر بعمله الصالح ولا أن يعجب بما وفقه الله إليه من الطاعات , وإنما هي نعمة ومنة وفضل يتذكر فيها الله سبحانه وتعالى , ويفرح بما آتاه من الخير ليزداد في شكرها .

(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد فيكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً) , (وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ).

(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد) يعني على أرض واحدة , من الأولين والآخرين , من الإنس والجن , (ثم سألني كل واحد منكم مسألته) .. ليسأل كل واحد ما يأتي في ذهنه وما تتمناه نفسه .. ما نقص ذلك ..... (ثم أعطيت كل واحد منكم مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) , قال العلماء معنى هذا أنه لا ينقص من ملك الله شيء , كيف ينقص من ملك الله وعطاء الله كلام ؟ يعني إنما يكون للشيء كن فيكون , كيف ينقص هذا الملك ؟ والله سبحانه وتعالى يمينه ملأى سحاء الليل والنهار سبحانه وتعالى عنده خزائن كل شيء , هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ).

هذه المعاني أيها إخوة , هذه المعاني التي دل عليها هذا الحديث من سعة رحمة الله سبحانه و تعالى: (إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً) , (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) , هذه المعاني التي منها ملك الله الواسع التام الكامل كما في هذا (لو أن أولكم وآخركم) إلى أن يقول: (ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) .. قدرة الله سبحانه وتعالى النافذة (إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني) .. استغناؤه التام عن عباده ..

فهذه المعاني عندنا تترسخ في قلب المؤمن , ويتيقن بها , ويعلم أنه يعبد رباً هذه صفته سبحانه وتعالى , فهذا يدعوه إلى الازدياد في التمسك بما جاء من عنده , والتيقن بأن كل حرف جاء في كتاب الله هو حق , وكل حكم نزل في شريعة الله هو حق من عند الله سبحانه وتعالى , فهذا يدعوه إلى الزيادة في البذل والعطاء والتضحية من أجل دين الله سبحانه وتعالى , ويدعوه إلى الازدياد في الصبر والمصابرة على كل ما يلاقيه , فلابد أن نعلم أيها الإخوة أن طريق التمكين لدين الله عز وجل هي طريق المحن والشدة والبلاء والزلزلة والضراء فبعد ذلك يأتي نصر الله سبحانه وتعالى , نعم إن الله عز وجل قد وعد عباده إن نصروه أن ينصرهم , قال الله عز وجل : (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ).

ولكن هذا النصر لا يأتي في دعة وكسل وخمول وبالأماني , وإنما يأتي بالجهد والبذل و التضحية والعناء والصبر , وبعد ذلك يتنزل نصر الله عز وجل كما قال الله عز وجل: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ), الرسول الذي يتنزل عليه الوحي من عند الله يقول متى نصر الله, يقولها لماذا؟ يقولها من فرط المحنة و شدة الزلزلة وشدة الضراء التي يلاقيها هو وأصحابه (أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) .

فلذلك أيها المجاهدون سواء في أفغانستان أو في العراق أو في الصومال أو في الجزائر أو في الشيشان عليكم أن توطنوا أنفسكم على هذه الحقيقة : إن التمكين لدين الله عز وجل ليس مهنة سهلة , ليس أمراً يسيراً , لا يأتي بالأماني , ولا يأتي بمجرد الخيالات , ولا يأتي بالخمول والكسل , ولا بد أن توطنوا أنفسكم على توالي البلاءات وعلى تواصل المحن , فبعد ذلك بعدما يتنقى صفكم ويتميز الخبيث من الطيب ويعرف أهل الإيمان الصادق ويُعرف المنافقون الذين يتخللون صفوف المجاهدين وينسبون أنفسهم إليهم , بعد ذلك عندما يرى الله سبحانه وتعالى منا الأهلية لأن نستلم هذه الأمانة العظيمة التي هي الحكم بشرع الله عز وجل والعدل بين الناس وتبليغ أحكامه عندها سيأتينا نصر الله سبحانه

و تعالى , فلا تيأسوا مما يصيبكم من المحن , ولا تظنوا أن طريق الجهاد والتمكين والنصر هي طريق سهلة , ولكنها طريق نقص الأموال والأنفس والثمرات .

اليوم تجد ساحة الجهاد مليئة بالأبطال وبالقادة وبالخبراء , وفجأة تجد المعركة قد طحنتهم وقد ذهبوا , هذا من الابتلاء الذي أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنه (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ).

اللهم انصر عبادك المؤمنين المجاهدين أينما كانوا نصراً مؤزراً .. اللهم انصر عبادك المؤمنين المجاهدين نصراً مؤزراً وافتح لهم من لدنك فتحاً مبيناً ..اللهم انصر عبادك المجاهدين حيث ما كانوا .. اللهم افتح عليهم بركات السماوات والأرض .. اللهم أفرغ عليهم الصبر من عندك يا رب العالمين .

اللهم انصرهم في أفغانستان .. اللهم مكن لهم تمكيناً تحبه وترضاه .. اللهم أعد لهم ملكهم خيراً وأقوى وأوسع وأسرع مما كان . اللهم انصر عبادك المجاهدين في العراق .. اللهم اكشف محنتهم .. اللهم اكشف ضيقهم .. اللهم ارفع البلاء عنهم يا رب العالمين .. اللهم أغظ بهم أعداءك يا قوي يا عزيز ..

اللهم انصر عبادك المجاهدين في الصومال .. اللهم مكّن لهم تمكيناً تحبه وترضاه تعز به أولياءك وتذل به أعداءك يا رب العالمين .اللهم انصر عبادك المجاهدين في الجزائر .. اللهم اكشف غربتهم .. اللهم اكشف غربتهم .. اللهم افتح لهم من لدنك فتحاً مبيناً .. اللهم دافع عنهم يا من يدافع عن المؤمنين .. اللهم افتح لهم بركات السموات والأرض.. اللهم أغنهم بك عن من سواك يا رب العالمين .. اللهم انصر المجاهدين في الشيشان .. وانصر المجاهدين في فلسطين .. اللهم افتح لهم من لدنك فتحاً مبيناً .. اللهم اخز أعداءك وأعداءهم يا رب العالمين .. اللهم فرج عن إخواننا المأسورين في سجون اليهود والنصارى وفي سجون الملحدين والمرتدين والروافض والبوذيين والهندوس يا رب العالمين .. اللهم اجعل لهم من كل ضيق فرجاً ومن كل هم مخرجاً و ارزقهم من حيث لا يحتسبون .

اللهم ردهم إلى أهليهم سالمين آمنين غانمين مأجورين يا رب العالمين .اللهم أخلفهم في أهليهم خيراً , واخلف كل شهيد ومهاجر ومجاهد وأسير في أهله خيراً يا رب العالمين إنك سميع قريب مجيب.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين .. اللهم عليك بالذين يحاربون دينك , اللهم عليك بالذين

يحاربون دينك وينكلون بأوليائك ويتنكرون لشريعتك .اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً.

اللهم عليك بأمريكا وحلفائها .. اللهم عليك بأمريكا وحلفائها .. اللهم صُب عليهم العذاب صباً , وافتح عليهم المصائب من كل جهة يا رب العالمين .. اللهم اخزهم في عقر دارهم وسلطهم على بعضهم وسلط عليهم أولياءهم وسلط عليهم جندك وعبادك المؤمنين يا رب العالمين .

اللهم انتقم منهم لعبادك المستضعفين .. اللهم انتقم منهم لعبادك المقهورين .. اللهم اخز بوش وحزبه يا رب العالمين .. اللهم أذله وأرغم أنفه .. اللهم أرغم أنفه يا رب العالمين .. اللهم اجعل له يوماً كيوم فرعون وهامان وقارون يكون عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين وشفاء لصدور قوم مؤمنين.

إنك سميع قريب مجيب , وصل اللهم على خير خلقك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

